وغزارة فن وعلم ، ومتانة جدل وحوار . ومن شأن ذلك أن يؤثر في الأدب تأثيراً بالغاً ، وأن يغير منحى الشعر ، فيتحلل من طابع القديم ، ومن الشخصية ، ومن الروح الغنائية ، ويجارى الحياة الجديدة مجاراة حقيقية كما جارى الشعر الإغريقي مثلا الحياة العلمية والفلسفية في القرن الخامس قبل الميلاد ، فأصبح تمثيلياً يقوم على الفكر والحوار كما تقوم الفلسفة ، موضوعياً لا شخصية فيه للشاعر متجلية طاغية ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن »[1] .

تلك هي صورة الشعر العربي حتى القرن الثاني عند أبي نواس بل والقرن الثالث عند أبي تمام ثم القرن الرابع عند المتنبي[2] على نحو ما تبدو في ميزان الناقد المؤرخ ، وما يطلبه توجيهه النقدى أو طموحه النقدى من الشعر العربي فيما كان ينبغي أن يكون عليه عند شعراء هذه الفترة المتأخرة ، مما يشمل بطبيعة الحال تلك الفترة المبكرة التي ننظر في شعرها الإسلامي . . فقد مر الشعر العربي عبر تلك الفترة دون أن يؤثر الإسلام في جوهره أو يحدث انقلاباً في أصوله القديمة ، أو يهتدى الشعراء إلى الخلق والابتكار ، ففي القرآن تاريخ وقصص ، ومع هذا لم ينتج الأدب الإسلامي شعراً قصصياً ، ولم ينتج هذا الأدب كذلك في عصوره الأولى ولا في عصوره المتأخرة شيئاً من الفن التمثيلي كما فعل الإغريق أو كما فعل الفرس أو فعل غيرهم من القدماء والمحدثين من أصحاب الآداب . . بل إن الشعر العربي لم يستطع في ذلك سواء بتأثير ظهور الإسلام أو ما تبع ذلك من تأثيرات أن يتحلل من الروح

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٦ — ١٠٧ .

(٢) يقول الكاتب في هذا : «فمع علم أبي نواس الفسيح الغزير المشعب ، ومع تمام آلاته في العربية فانه لم يستطع إلا أن يغير الديباجة ، أو يدخل البديع أو يتطرف فيستعمل الألفاظ الفلسفية ، أو ينتفع ببعض الأفكار الشائعة في عصره . وكذلك فعل من جاء بعده من الشعراء العلماء ، كأبي تمام والمتنبي » . ص ١٠٧ — ١٠٨ .